مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (35) العدد (2)2013
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (35) No. (2) 2013

التشبيه الدائري في نماذج من شعر الهذليين

الدكتورة ابتسام أحمد حمدان*
مُحَمَّد أحمد الحسين**

(تاريخ الإيداع 12 / 12 / 2012. قبل للنشر في 11 / 4 / 2013)

□ ملخّص □

يتناول البحث أسلوباً من أساليب التشبيه التي لا نلمحها إلا في أكمام زهور الشعر الخالد، إنه (التشبيه الدائري)؛ الذي لا يصبر على تفريعاته إلا من أوتي نفساً شعرياً طويلا ، ومقدرة فنية عالية، من هنا لم يكن مستغرباً أن نلحظ ثراءه في شعر الهذليين، إذ كان وجها بارزاً من وجوه تقدمهم في فن الشعر .

وفي هذا البحث نحاول أن نبين أثر فاعلية التشبيه ، ودوره في نقل دقائق المعنى إلى المتلقي في أبهى صورة ، وأجمل حلة , وذلك من خلال بعض الشواهد من شعر الهذليين ، محاولين أن نقف على مدى براعة شاعرهم في بناء نسيج الصورة الاستدارية ، وفي تتبع المعنى الذي تقدمه ، للوقوف على ما يحمله إلى القارئ من أحاسيس الشاعر ، وتجربته الوجدانية .

الكلمات المفتاحية:

- التفريع .
- التشبيه .
- التناسق .

* **أستاذة – قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية .**
** **طالب دراسات عليا(ماجستير) – قسم اللغة العربية– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية .**

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (35) العدد (2)2013
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (35) No. (2) 2013

(Circular imagery in Al-Hazlyyen poetry)

Dr. Ibtesam Ahmad Hamdan*
Mohammad Ahmad Al – Hosin**

(Received 12 / 12 / 2012. Accepted 11 / 4 / 2013)

□ ABSTRACT □

This research studies a new method of analogy that AI-Hazly had used in his poetry, the circular imagery. It also studies the effect of this method and its role in communicating the minute details of meaning with the listener and acknowledges AI-Hazly's skill in composing this method, to communicate with the reader the poet's sensations and life experience.

Key words:
- Branching
- Analogy
- Homogeneity

***Professor, Arabic Department, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**
****Postgraduate student, Arabic Department, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Syria.**

مقدمة:

من المعروف أن الصفة في المشبه به تكون أكثر وضوحاً ، وبروزاً مما هي عليه في المشبه ، ويأتي التشبيه ليرقى بهذه الصفة في المشبه إلى مرتبة المشبه به في الوضوح أو في الدرجة ، أو لأسباب أخرى يريدها الأديب ، إلا أن هذه العلاقة بين المشبه والمشبه به تأخذ منحى آخر في شكل متطور من أشكال التشبيه ، وهو ما يعرف بالتشبيه الدائري .

وقد برز هذا النوع من التشبيه في ديوان الهذليين ، إذ تكررت صوره , لتشكل ملمحاً برعوا فيه ، وهو نوع يقوم على التفريع والتفصيل في المشبه به , بعد الابتداء بـ(ما) النافية , ويستمر الشاعر في التفصيل فيه , ليختمه بتفضيل المشبه على المشبه به باستعمال (الباء) الزائدة الداخلة على اسم التفضيل .

وهنا يشكّل اتحاد (ما) التي بدأ بها الشاعر صورته ، و(الباء) الداخلة على اسم التفضيل تشبيهاً جميلاً , فيه تفضيلٌ وتفريع للمشبه به , كما يشكل بناء متماسكاً على مدى يتعدى البيتين ليصل أحياناً إلى عشرين بيتاً ، ولعل القصد من هذا التفصيل ليس في حقيقته إلّا تفضيل المشبه الذي فاق المشبه به في الصفة , فمهما بلغ المشبه به من درجات هذه الصفة يبقى المشبه أعلى وأرقى ، وربما كان في مثل هذه الصورة مبالغةً واضحة , أراد الشاعر من خلالها أن يبيّن معنى دار في خلده , فوصل إلى أنّ وصف هذا الأمر لا يمكن أن يبلغه أو يصله , فمهما وصف وأحسن الوصف يبقى هذا الوصف عاجزاً عن إعطاء المشبه حقّه.

أهمية البحث وأهدافه:

يسعى البحث إلى بيان أهمية هذا النوع من التشبيه , والتركيز على دوره في بناء جمالية الصورة في شعر بعض الهذليين , وذلك بهدف الوقوف على قدرة هذا النوع من التشبيه على الارتقاء بالعملية التشبيهية من حيث المعنى والمبنى ، و يحاول ًإبراز القدرة الإبداعية للشاعر الهذلي في إتقان نسج هذا النوع من التشبيه ، مما يجسد حرصه على جعل اللغة الشعرية أداة فاعلة في خلق التواصل الوجداني والفني بين المبدع والمتلقي .

منهجية البحث:

يرتكز هذا البحث على المنهج الوصفي ؛ الذي يهدف إلى توصيف آلية بناء هذا النوع من أنواع الصورة التشبيهيّة في نماذج من شعر الهذليين , والكشف عن جوانبه الفنية معتمداً في ذلك على التحليل , وبيان طريقة نظم هذا النوع من التشبيه الذي يعتمده الشاعر للتعبير عن المعاني.

التشبيه الدائري في شواهد من شعر الهذليين

هذا النوع من التشبيه سمّاه المحدثون تسميات كثيرة ناقشها عبد القادر الربّاعي , وسماها (التشبيه الدائري) , وعرفه بقوله: " هو المشابهة التي يُحدثها الشاعر بين شيئين أو أشياء في تركيبٍ فاتحتُه نفيٌ بحرف (ما) خاصّة , وخاتمته إثباتٌ بحرف (الباء) ، واسم التفضيل الذي على وزن (أفعل) , وغالباً ما يكون بين الفاتحة والخاتمة وصفٌ للاسم المنفي – وهو المشبه به عادة – قد يطول وقد يقصر, بحسب حاجة الشاعر النفسية إلى ذلك " ([1]) ، وسبب تسميته (التشبيه الدائري) هو الدوران من النفي إلى الإثبات ([2])

---

[1]– **الربّاعي, عبد القادر: *الطير في الشعر الجاهلي*, ط1, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت 1998م, ص 142.**

[2] – **ينظر: *الطير في الشعر الجاهلي*, ص 193**

وبذلك يغدو هذا النوع من التشبيه لوناً من ألوان التشبيه يضاف إلى الألوان الأخرى , كالتشبيه الضمني والبليغ وغيرهما ؛ وذلك لأنه ورد عند الشعراء على مرّ العصور , فغدا ظاهرة تستحق الرصد والبحث .

ومن هذه التشبيهات قول أبي ذؤيب (من الطويل) ([3])

7.	وأُقسمُ ما إنْ بالةٌ لطميَةٌ	يفوحُ ببابِ الفارِسيّينَ بابُها ([4])
8.	ولا الرَّاحُ راحُ الشّامِ جاءتْ سبيئة	لها غايةٌ تهْدي الكِرامَ عُقلبُها([5])
9.	عُقارٌ كماءِ النّيءِ ليستْ بخمْطةٍ	ولا خَلَّةٍ يكوي الشُّروبَ شِهابُها([6])
10.	توَصّلُ بالركبانِ حيناً وتؤلفُ الـ	جِوارَ ويُغشيها الأمانَ ربابُها([7])
11.	فما برحتْ بالناسِ حتى تبيَّنَتْ	ثَقيفاً بزَيْزاءِ الأشاءِ قبابُها([8])
12.	فطاف بها أبناءُ آل مُتعّبٍ	وعزَّ عليهم بيعُها واغتصابُها([9])
13.	فلمّا رأوْا أنْ أحكَمَتْهم ولم يكنْ	يحلُّ لهمْ إكراهُها وغلابُها([10])
14.	أتَوْها بريحٍ حاولتْهُ فأصبحتْ	تُكَفَّتُ قد حلَّتْ وساغَ شرابُها ([11])
15.	بأرْي التي تأري لدى مغربٍ	إذا أصفرَّ ليطُ الشمسِ حانَ انقلابُها([12])
16.	بأرْي التي تأري اليعاسبَ أصبحتْ	إلى شاهقٍ دون السماءِ ذُؤابُها([13])
17.	جوارسُها تأري الشُّعوفَ دوائباً	وتنصَبُّ ألهاباً مصيفا كرابُها ([14])

[3] - السكري ، أبو سعيد *: شرح أشعار الهذليين* ، تح: عبد الستار أحمد الفراج ، مراجعة : محمود محمد شاكر ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، 1425 هـ ، 2004 م . ج1 ، ص44-45

[4] - البالة: بالفارسية إنما هي (بيلة) وهي وعاء الطّيب. اللطيمة, وهي عيرٌ تحمل المتاع والعطر, فإن لم يكن في المتاع عطر فليست بلطيمة. يفوح ويفيح: يهيج. بابها: أراد باب وعاء هذه اللطيمة

[5] - الراح: الخمر. سبيئة: مشتراة. عقابها: رايتها. العقار: التي تعاقر الدّنَ أو تعاقر العقل. ويقال: تعاقر الدّن, وهي التي بقي منها بقيّة في أسفل دنّها لطول مرّ السنين عليها. كماء النيئ: في صفائها, وهو ما قطر من اللحم.

[6] - الخمطة: التي أخذت طعم الإدراك ولم تدرك وتستحكم فهي خطمة. الخلّة: الحامضة. يكوي الشروب: يؤذيهم. شهابها: نارها وحدتها. وهذا مثلٌ, أي ليس لها حمض شديد مثل النار. الشروب: جمع (شَرْب) وهم الندامى.

[7] - توصل بالركب: يعني الخمر إذا رأت ركبا, وإنما يريد أهلها, واللفظ على الخمر, توصل بهم من بلد إلى بلد, وتؤلف بين الجيران, يحب بعضهم بعضا. الرّباب: القِداح.

[8] - ما برحت: ما انفكت وأهلها في جماعة ناس, أي لم تزل تسير معهم مخافة أن يغار عليها وتطلب. تبيّنت تثقيفا: رأتهم, وقدم بها الأمن, وأدخلت عكاظ, وإنما يريد أهلها, واللفظ لها. الزيزاء: ظهرٌ منقادٌ غليظ مرتفع من الأرض. الأشاء: النخل. قبابها: يريد أصحاب القباب وأهلها فجعل الفعل للقباب.

[9] - عزّ عليهم بيعها واغتصابها: غلا غليهم شراؤها, وامتنع عليهم أن يغتصبوها أهلها, ولم يحلّ لهم لأنهم في شهر حرام.

[10] - أحكمتهم: منعتهم نفسها وامتنعت وغلت جدا. تكفّت: تقبض.

[11] - أتوها: يريد أهلها, فأخذوها بحلّها, ولم يظلموا عليها ولم يأثموا فيها. فساغ شرابها: طاب لهم وجاز.

[12] - الأري: عمل النحل وهو العسل. المغرب: كل موضع لا ترى ما وراءه. ليط الشمس: لونها, والليط: القشر من كل شيء, فإذا كان هذا الوقت انقلبت إلى موضعها يعني النحل.

[13] - تأري اليعاسب: تسوسه النحل وتعمله وهو العسل. اليعسوب: رأس النحل وأميرها. ذؤابها: أعلاها. جوارسها: التي تجرس أي تأكل.

[14] -. الجرْس: أكل النحل الثمر والشجر. الجوارس: الذكور. الشعوف: رؤوس الجبال. الألهاب: جمع لهب, وهو الشق تراه في الجبل. الكراب: جمع كربة, وهي فصل ما بين الجبلين. مصيفا: أصابها مطر الصيف.

18.	إذا نَهضتْ فيه تصَعَّد نفرُها	كقِتْرِ الغِلاءِ مُستدِراً صيابُها([15])
19.	يظلّ على الثّمراءِ منها جوارسٌ	مراضيعُ صُهبُ الريشِ زُغبُ رقابُها([16])
20.	فلما رآها الخالديُّ كأنّها	حصى الخذفِ تهوي مستقلاً إيابُها([17])
21.	أجدَّ بها أمراً وأيقنَ أنه	لها أو لأخرى كالطحين ترابُها
22.	فقيل: تجنبْها حرام, وراقَهُ	ذراها مبيناً عُرضُها وانتصابُها([18])
23.	فأعْلَقَ أسبابَ المنيةِ وارتضى	ثُفُوفتُهُ إنْ لم يخنْهُ انقضابُها([19])
24.	تدلى عليها بين سبٍّ وخيطةٍ	بجرداءَ مثلِ الوكفِ يكبو غرابُها([20])
25.	فلما اجتلاها بالأيام تحيرتْ	ثباتٍ عليه ذلّها واكتئابُها([21])
26.	فأطْيِبْ براحِ الشامِ صِرْفاً وهذه	مُعتّقةً صهباءَ وهي شيابُها([22])
27.	فما إنْ هما في صفحةٍ بارقيّةٍ	جديدِ حديثٍ نحتُها واقتضابُها
28.	بأطيَبَ من فِيها إذا جئتُ طارقاً	من الليلِ والنقّتْ عليّ ثيابُها([23])

في هذه القصيدة يتغزل أبو ذؤيب بمحبوبته ، فيقدّم صورة تشبيهية اعتمد فيها الدوران من المشبه به إلى المشبه , والمشبه به هنا هو الخمر المخلوط بالعسل , والمشبه هو ثغر المحبوبة وطعم ريقها .

ونجده في حديثه عن المشبه به يقدم لنا صورةً للخمر تتآزر أشتاتها وتتكامل حين تتصل بصورة العسل , فهي خمرة شهية ، مُزجت بألذ أنواع العسل , وفي سبيل الارتفاع بشأنها راح يصّور المشبه به ويستفيض في الحديث عنه , حتى بيّن لنا عزة هذه الخمرة الشامية ، التي لا يشتريها إلا الكرام :

8.	ولا الرَّاح راحُ الشّام جاءتْ سبيئةً	لها غايةٌ تهْدي الكِرامَ عُقابُها

[15] – تصعد نفرها: شقّ عليها أي شقّ على نفر منها وأفتره وجهده لطول الجبل. القتْر: نصال سهام الأهداف. مستدر: ذاهب. صيابها: قواصدها.

[16] – الثمراء: هضبة. الجوارس: الأواكل. مراضيع: حديثات عهدٍ بالتفريخ, وهذا مثلٌ, أراد أنّ معها نحلا صغارا. صهب الريش: يريد أجنحتها.

[17] – مستقلا: مرتفعا. إيابها: جماعتها واحدها (آئب).

[18] – راقه: أعجبه. ذراها: أعلاها. عرضها: يعني عرض الشهدة.

[19]– البيت 23: أي علق حبالا فيها الموت, يقال: ثقوفته وثقافته, يعني: صاحب العسل. الانقباض: الانقطاع, والهاء فيها للحبال.

[20] – الخيطة : درّاعة يلبسها المشتار. السّب : أن يضرب وتدا ثم يشدّ فيه حبلاً فيتدلى به إلى العسل . الوكف : نطعٌ . الجرداء: الصخرة . الكبوّ : العثار. وهذا إنما يريد: يزلّ عنها الغراب .

[21] – اجتلاها: طردها. الإيلام : دخان . الثُبات : جمع ثُبَة, وهي القطعة من القوم, ومن كل شيء. الاكتئاب : الحزن .

[22] – شيابها: مزجها وخلطها.هما: يعني الخمر والعسل . بارقيّ : إناء منسوبة إلى (بارق). اقتضابها: أخذها في شجرها حديثة .

[23]– طارقا: ليلا .

ثم استعمل التشبيه في حديثه عن المشبه به , فشبّه الخمر الملازمة للدّن بما قطر من اللحم , وقصده من هذا التشبيه بيان صفاء هذه الخمرة , واختار في هذا التشبيه اسما للخمرة هو العُقار من دون غيره من الأسماء الكثيرة للخمر, ليدل بهذا الاسم على أنّها أحب أنواع الخمرة وألذها (عقار كماء النيئ) .

ثم تأتي صفات هذه الخمرة, إنها على ما ينبغي أن تكون عليه من الطيب وحلاوة الطعم, فهي ليست (بخمطة)؛ أي ليس لها ريح ولا حموضة, وليست (خلّة) ؛ أي ليست حامضة, فلا تزعج الشاربين بطعمها... وكل هذه الصفات تبين ولع العربي الجاهلي بالخمر, لذلك نلاحظ أن أبا ذؤيب كان خبيرا بأسمائها, عليما بأوصافها, مائزا بين جيدها ورديئها, وخمرة أبي ذؤيب ليست سهلة المنال ؛ بل تعب في سبيل الحصول عليها , قاطعاً من أجلها البلاد البعيدة (الشام) ؛ لذا فهي غالية عالية , ممتنعة عن الاغتصاب (وعزّ عليهم بيعها واغتصابها).

ولم يكتف أبو ذؤيب بأن جعل الخمر– التي وصفها على أحسن ما يكون الوصف – مشبّها به لمحبوبته , إذ شعر أن لذة هذه الخمر التي تحدث عنها, واختار ألذّها وأعزّها , لا تكفي للتعبير عن متعته بوصل محبوبته , إنها لا تفي بالغرض وحدها , فاستعان بلذة ثانية مزجها مع لذة الخمرة , علّهما معا يفيان الغرض, ويصيبان القصد .

هذه اللذة هي لذة العسل , نعم هذه الخمر التي تحدّث عنها مزجها بالعسل, لقد دلف أبو ذؤيب من الخمر إلى العسل, ومضى في وصف طويل لرحلة العسل وعناء الوصول إليه. وأسهب فيه إسهابا, حتى إنّ سامعها ليشتهيها لكثرة ما عانى جانيها من أجل الوصول إليها, ونحن نعلم أنّ الأمر العزيز الجانب كلّما تعذب طالبه في الوصول إليه كان ألذ , وكان

أجدر بالحصول عليه , فالمأخوذ بعد عناء وتعب ليس كمثل الذي يأتي سهلا مطواعا.

في لوحة العسل هذه ركز أبو ذؤيب على حركة النحل ودأبها في صنع العسل , ذاكراً أماكن هذا النحل , وطعامه , ومكان تعسيله , وكيفية الوصول إليه ، فإذا ما وقفنا عند قوله : (تأري لدى كل مغرب) , نجد فيه دأب النحل في التعسيل , من خلال مفردة (تأري) ، التي جاءت بصيغة الفعل المضارع ، الذي يدل على التجدّد , ليبيّن أنّ هذا النحل لا يتوقف عن التعسيل ، ثم نراه يستعمل كلمة (مغرب) , وهي تعني هنا كل موضع لا ترى ما وراءه , مما يدل على بعد مكان الرحيق الذي يمتصه النحل , لذا فإن النحل لا تعود إلى أماكنها إلا عند الغروب (اصفرّ ليط الشمس) .

أما أماكن تعسيل هذا النحل فهي الجبال المرتفعة التي تطاول أعنان السماء (إلى شاهق دون السماء ذؤابها) , ومثل هذا المكان بكون باردا , وكلما كان مكان تعسيل النحل باردا كان العسل أشهى وألذ . وما يدل على برودته أيضا قوله : (مصيفا كرابها), فهذا المكان حتى في الصيف يتعرض للمطر, فلا شك أنه بارد , وكل هذا يؤدي إلى نتاج كثير من العسل بسبب دأب النحل في التعسيل , مما يجعل المشتار يعرّض نفسه للخطر في سبيل الحصول على العسل , وليس أي مشتار يستطيع الحصول عليه ؛ بل لا بد أن يكون رجلا حاذقا, لذلك اختار أبو ذؤيب مشتاراً من بني خالد , ورث مهنة اشتيار العسل عن آبائه , فهو حاذق ماهر في الاشتيار, ويعلم حقيقة أنّه إن أخطأ أو خابت مهارته سيكون مصيره الموت :

.1	أجدَّ بها أمراً وأيقنَ أنّه	لها أو لأخرى كالطحينِ ترابُها

ونراه في هذا البيت يظهر لنا مدى خطورة الموقف, وخطورة الحصول على هذا العسل, فعلى الرغم من كل هذه الصعوبة وهذا الخطر، إلا أن جانيها لم يفكر إلا في غائية حركته في الحصول عليه, وقوله: (وأيقن أنّه لها أو لأخرى)

" جملة ذات دلالة جيدة , لأنها تفيد أنه جدّ أمره بها , وهو مستيقن الخطر, وأن الحالة لا تحتمل إلا واحدا من اثنين, إما أن يظفر بالشهدة أو لأخرى ، وكأن أبا ذؤيب أراد أن يبرز معنى الأخرى هذه فذكرها مبهمة ثم أزال إبهامها بجملة الصفة وهي (كالطحين ترابها) وهي مبتدأ مؤخر وخبر مقدّم, والتي كالطحين ترابها هي الأرض, وإنما أبان عنها بالطحين وبالتراب للإشارة إلى صيرورته إلى الموت إن لم يظفر بالشهدة، وأنه يسقط عليها ترابا وليس إنسانا حيّا "([24])، وقد دار في ذهنه أمره , ثم حسم أمره وغامر بحياته في سبيل الحصول على العسل من مكانه الذي اتصف بالارتفاع والصعوبة ، حتى إن النحل ليشقّ عليه الوصول إلى مكانه (إذا نهضت فيه تصعّد نفرها).

ثم علق حباله وتدلى, وعمل الدخان فتفرّق النحل, وانزلاق هذا الفتى هذا الانزلاق الصعب المميت على هذه الصخرة الملساء الناعمة التي تشبه النطع في الملامسة والنعومة , وعدم استقرار الأشياء عليها « تدلى عليها بين سبّ وخيطة » , يدل – كما سبق – على نفاسة هذا العسل ولذته وطيبه , إلى درجة أن يقدم الإنسان حياته في سبيل الحصول عليه . ثم تأتي النهاية انتصار الفتى المغامر وفوزه بما كان يأمل .

ولا ينسى أبو ذؤيب أن يصف النحل في ذلها واكتئابها حزنا على ما انتزع منها, وفي هذا ما فيه من إشارة إلى نفاسة هذا العسل.([25])

25.	فلما اجتلاها بالأيام تحيّرت	ثُباتٍ عليها ذلُّها واكتئابُها

وفي وصفه اشتيار العسل ، وصعوبة هذا الاشتيار, إضافةً إلى إبراز نفاسة هذا العسل , محاولةٌ لإظهار الشجاعة من أجل نيل رضاء المحبوبة , فهو الفارس المغوار الذي لا يُقهر, ولا يخشى شيئا , وهو أدهى وأمرُّ من كل مغامرة ، ومن كل خطر.

وبهذا الوصف ينهي أبو ذؤيب حديثه عن المشبه به , إلا أنه قبيل الانتهاء يعود إلى الربط بين الخمر والعسل (المشبه به) قائلا :

27.	فما إنْ هما في صفحةٍ بارقيَّةٍ	جديدٍ حديثٍ نحتُها واقتضابُها

"ممهدا لنهاية دائرة التشبيه حيث يأتي المفضّل"([26]).

28.	بأطيبَ من فيها إذا جئتُ طارقاً	من الليلِ والتفّتْ عليّ ثيابُها

إذاً, كل هذه اللذة الناتجة عن أفضل أنواع الخمر المخلوط بألذ أنواع العسل, التي بقي أبو ذؤيب يتحدث عنها في عشرين بيتا ، ليظهر تفوّقها على غيرها من لذتي الخمر والعسل, لا تعادل لذة ريق المحبوبة , فريق المحبوبة عند أبي ذؤيب ألذ وأطيب . ولعل ما يضاعف هذه اللذة , تفوّق المشبه على المشبه به, وذلك في قوله: (من الليل), ومن المعلوم أنّ هذا الوقت يتغير فيه الرّيق ونفس الإنسان , ومع ذلك , ومع هذا التغيّر، يكون ريق المحبوبة ألذ وأطيب, فكيف به في غيره من الأوقات ؟ فأبو ذؤيب « يعمد إلى أن يُكسب التفوّق لمحبوبته, فهي الخصب الذي يراه ضرورة للبقاء والخصب هذا ممنّع حصين »([27]).

---

[24]– أبو موسى ، محمد محمد : *الشعر الجاهلي، دارسة في منازع الشعراء*، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1429هـ / 2008م. ص 567.

[25] – السويدي, سلامة عبد الله : *من ملامح البيئة في شعر هذيل, النحل واشتيار العسل*, جامعة قطر, مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ع 7, 1995م . ص 79–80.

[26] – السويدي, سلامة عبد الله : *من ملامح البيئة في شعر هذيل ، النحل واشتيار العسل* ، ص 75.

[27]– الخلايلة ، محمد خليل : *بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين* ، أربد الأردن 1425هـ ،2004م ، ص 210.

والمحبوبة في هذه الصورة بدت " أملا صعب المنال , يلامس المستحيل والخيال ، وحين لم تنهض الخمر بالوفاء بدلالتها على هذا المستوى ، كان حضور العسل كعنصر جوهري في بناء ما يرغب الشاعر في بنائه من دلالة كليّة مفعمة بروح من شأنها أن تأسر الحواس ، ليكون طعم العسل مسيطراً على ما عداه من مكونات الصورة "([28]).

وبهذا النظم لهذه الصورة والدوران من المشبه به إلى المشبه, وهذا التفضيل، واختيار المفردات والصفات اختياراً دقيقا ، حصل أبو ذؤيب على مراده من بيان لذة ريق المحبوبة، وعزّتها، إنها صورة شاعر صانع حاذق بناها بلغته ؛ بلحمها ودمها ، فيها اقتدار شعريّ على الخلق والتصوير والنسج والتحبير, إنها تجربة شعرية من رأسها إلى قدمها.([29])

وبذلك يبدو هذا التشبيه أسلوبا قادرا على حمل روية الشاعر, ويشكل اتساعاً في الصورة ؛ فالشاعر فيه أمام طرفين : أحدهما مشبه والآخر مشبه به , و تبرز الصفة أكثر وضوحا في المشبه به , ومن هنا جاء التفريع , فما التفريع إلا تفتيق الصورة ، وتوسيع آفاقها ([30]).

ومن أمثلة هذا الضرب من التشبيه قول أبي خراش (من الطويل)([31])

.4	فو اللهِ ما ربْداءُ أو علْجُ عانةٍ	أقبُّ وما إنْ تَيْسُ رَبْلٍ مُصَمِّمُ([32])
.5	وبُثّتْ حِبالٌ في مراد يرودُهُ	فأخطأَهُ منها كفافُ مُخَزّمُ([33])
.6	يَطيحُ إذا الشعراءُ صاتَتْ بجنْبِهِ	كما طاحَ قِدْحُ المستفيضِ المُوَشّمُ([34])
.7	كأنّ الملاءَ المحضَ خلفَ ذراعه	صُراحيُّةٌ و الآخِنيُّ المُتَّمَّمُ([35])
.8	تراه وقد فاتَ الرُّماةَ كأنّه	أمامَ الكلابِ مُصْغِيَ الخدِّ أصلَمُ
.9	بأجودَ منّي يومَ كَفَّتُّ عادياً	وأخطأني خلفَ الثنيَّةِ أسْهُمُ([36])

يرسم لنا أبو خراش صورة عدوه من خلال التشبيه الدائري، فيبدأ التشبيه بـ (ما) النافية, ويتلوها المشبه به , ونرى تعدّده , فهو أسرع من النعامة , وأسرع من الحمار, ثم يأتي بصورة للظبي الذي شبه نفسه به في سرعة العدو ، أي أن الشاعر هنا لم يقف عند النعامة , ولا عند حمار الوحش , واكتفى بذكرهما, لأنه مشغول بآخر هو أسرع منهما, وهو الظبي, فنراه يصف فراره من الحبال التي نصبها الصيادون لصيده , فينجو من هذه الحبال ويفلت , ولكن الذعر والخوف يبقيان مسيطرين على قلبه , متمكنين منه ، ويبقى غير مطمئن يصغي إلى ناحيتهم , فإذا ما سمع صوت

---

[28] – المنصوري ، جريدي سليم ، *مشهد النحل في شعر الهذليين* ، مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة ، ع21, 1424هـ, 2003م, ص 913.

[29] – أبو موسى ، محمد محمد : *الشعر الجاهلي ، دراسة في منازع الشعراء* ، ص 563

[30] – الخلايلة ، محمد خليل : *بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين* , ص 100-101.

[31] – *شرح أشعار الهذليين* ، ج 3, ص 1218-1219.

[32] – الرَبل : نبت ينبت في قبل الشتاء. ربداء: نعامة سوداء إلى الغبرة . علج : حمار غليظ . أقبّ: خميص البطن . مصمم : يركب رأسه ويمضي. وعنى بالتيس ظبيا.

[33] – في مراد يروده : أي في مساح يسرح فيه . كفاف : يعني كفة الحابل, وهي شيء يعمل مثل غلاف القارورة ، ثم يجعل فيها خرق, ثم يجعل عليها خيط بأنشوطة ويغط بتراب, فإذا دخلت يد الظبي فيها نفضها فنشبت. مخزّم : منظم.

[34] – يطيح : يشرف. الشعراء: ذباب يلسع. صاتت: هنا: أصاتت. المستفيض : الذي يفيض بالقداح يضرب بها. الموشّم : قدح فيه علامات.

[35] – المحض : الخالص الأبيض. صراحيّه : أبيضه. الآخنيّ: ثياب كتّان. الأتحميّ: برود يمانيّة فيها خطوط خضر وحمر.

[36] – الكفت: الانقضاض والشرعة .

الذباب الذي يطوف حوله تخيله صوت السهام, سهام الصيادين الموجهة نحوه, فينطلق مسرعا في ذعر وتخوّف ([37]) , تاركا وراءه ألوانا يشبهها الشاعر بالملأ المحض ([38]).

كل هذا التفصيل في صورة الظبي هدف منه الشاعر إلى بيان شدة سرعة الظبي ، هذه السرعة كانت على أشدها لأنها أتت بسبب الخوف , الخوف على الحياة , فبذل هذا الظبي كل قواه وهو يجري ، ولكن هذه السرعة لا تبلغ سرعة أبي خراش , فأبو خراش أسرع من الظبي في هذه الحال التي رسمها له .

وهذا التفضيل _ تفضيل سرعة أبي خراش على صورة الظبي _ أتى من خلال التشبيه الدائري كما تقدّم , وأضاف إلى توكيد التفضيل القسم (فو الله).

ويتفاوت الشعراء في هذا التشبيه طولا وقصرا , ونرى عند الهذليين أن أطول تشبيه من هذا النوع ورد عند أبي ذؤيب , وهو التشبيه الذي تحدثنا عنه آنفا . أما أقصرها في الديوان فهو قول " الداخل بن الحرام" (من الوافر)([39])

2.	وما إنْ أحورُ العينينِ رخصُ الـ	عِظامِ تَرُدُّهُ أمٌّ هَدوجُ([40])
3.	بأحسنَ مَضْحكاً منها وجيْداً	غداة الحجر مضحكها بليج([41])

فالشاعر هنا شبه (المرأة) بالغزال , وبدأ حديثه بالمشبه به , واختار صفات تدل على جمال هذا الغزال , فهو غزال صغير السن (رخص العظام) , ومن المعلوم أنه في صغره أجمل وأكمل , كما أنه أحور العينين, وهذه صفة تدل على شدة الجمال والحسن, وزاد صفة أخرى تدل على صغره أنه لا يزال يحتاج إلى رعاية (ترده أمٌ هدوج) . ثم أتى بالمشبه وهو (المرأة) , ونفى أن يكون الغزال _الذي وصفه قبل ذكر المشبه ، وجعله أيةً في الحسن والجمال _ نفى أن يكون أجمل من فتاته (المشبه) , ولم يكتف بالنفي للدلالة على تفوّق المرأة في جمالها وحسنها على هذا الغزال, وإنما أنهى تشبيهه بما يدل على جمال المرأة الروحي, وهو قوله : (مضحكها بليج) , ومن هذا التقييد لها يبين لنا أنها تكون سعيدة عند لقائه ؛ وبذلك رسم جمالها الخارجي في شكلها وحسنها ، وزاد على هذا التفوّق تفوقاً آخر هو جمالها الداخلي , وهذا ما لم يكن موجودا إطلاقا في المشبه به .

إذاً , لم يطل الشاعر في وصف المشبه به ، كما فعل أبو ذؤيب في التشبيه الماضي , لكنه استطاع باختياره ألفاظا وصفات خاصة أن يكثف المعنى , وأن يبرز المرأة على أنها آية في الحسن والجمال , مع أن تشبيهه لم يتجاوز البيتين .

---

[37] – النتشه, إسماعيل داؤد محمد: *أشعار هذيل وأثرها في محيط الأدب العربي*, ط1 دار البشير عمان الأردن, 1422 هـ, 2001م.ج, ص 256-257.

[38]– إبراهيم ، إياد عبد المجيد : *البناء الفني في شعر الهذليين دراسة تحليلية* ط 1, دار الشؤون الثقافية العامة 0 بغداد 2000م. ص 214.

[39]– – *شرح أشعار الهذليين* : ج2 ، ص 611-612

[40] – ترده : تتعهده في ذهابها ومجيئها ، هدوج : لها عليه هدجة ؛ أي حنين وتهدج . رخص العظام : حديث عهد بنتاج

[41] – الحجر : الذي بالبيت بليج: مشرق واضح المضحك : موضع الأسنان التي تبدو إذا ضحكت

وقريب من هذه الصورة قول البريق الخناعي يرثي أخاه (من الوافر) : ([42])

14. فما إنْ شابكٌ من أُسدِ تَرْجٍ أبو شِبلينِ قد مَنَعَ الخِدارا([43])

15. بأجْرأ جرأة منه و أدْهى إذا ما كاربُ الموتِ اسْتدارا([44])

شبه الشاعر أخاه بالأسد , وأتى بالتشبيه الدائري ليفضل جرأة أخيه على جرأه الأسد , فهذا الأسد الذي اشتبكت أنيابه ، وعنده شبلان ، وهو أبٌ لهما ، إلا أنه ليس أجرأ من أخيه ، فأخوه أكثر جرأة ، وقوة من هذا الأسد ، ولابد لنا من ملاحظة ما وفره هذا النوع من التشبيه للنص من تماسك تركيبي ، ناجم عن تواصل الصفات والتفريعات على مدى البيتين اللذين تضمنا التشبيه .

ويتكرر هذا النوع من التشبيه عند الهذليين في مواضع أخرى ، وسبب هذا التكرار هو ثقة الشاعر الهذلي بقدرة هذا النوع من التشبيه على توسيع المعاني وتفتيقها ، والارتقاء بصفة المشبه لتبلغ ذروتها ، إنه أسلوب يحمل في داخله آلية جديدة ، تغني التشبيه وتعطيه جدة وطرافة ، إنه أسلوب السرد ، الذي يتطلب القدرة على تضخيم المشبه , مع المحافظة على تماسك النص ، وحسن سبكه ([45]).

الخاتمة:

وهكذا نجد أن هذا النوع من التشبيه كان مضمارا يتيح للشاعر أن يبرز مقدراته اللغوية والبلاغية في صياغة الفكرة التي يريد التعبير عنها, لتغدو لوحة فنية فريدة، لا مثيل لها؛ بل إن هذا النوع من التشبيه أثبت أنه أقدر على تنشيط خيال المتلقي، وإرضاء تعطشه لمعرفة ذلك المشبه بعد تلك التفصيلات والتفريعات، التي أوردها الشاعر في المشبه به .

ويتجلى أثر هذا النوع من التشبيه في عقد المقارنة بين المشبه والمشبه به, ومن خلال هذه المقارنة يتمثل المشبه على أكمل وجه. كما أن هذا الأسلوب يجعل المتلقي يشارك في رسم صورة المشبه من خلال التفصيلات التي أوردها الشاعر في المشبه به، بعد أن ينشط خياله لإضفاء ملامح المشبه به المتنوعة على المشبه .

أما في شعر الهذليين فإننا نجد التشابه بين شعرائهم في هذه الظاهرة , كما نلاحظ كثرتها عندهم, ويعود ذلك إلى تمكن الشاعر وقدرته على توسيع المعنى وتفريعه, ومن ثم حرصه على ترابط الصورة، ولاسيما التشبيه منها، مما ينبئ عن عقلية مشتركة, أفرزت تشابهاً في رؤيتهم للأشياء، ولو أن أبا ذؤيب كان الأطول والأكثر تفصيلا في هذا النوع من التشبيه، وإن دلّ هذا فإنما يدل على أنه كان أشعرهم، وأكثرهم ذكاء، وشدة ملاحظة، وقدرة على التقاط أدق الجزئيات.

---

[42] – *شرح أشعار الهذليين* : ج 2، ص 744

[43] – شابك : أسد اشتبكت أنيابه، ترْج : بلد، الخدار: موضعه الذي يتخدر فيه

[44] –كارب الموت: الذي يكرب، استدار : أحاط

[45] – الخلايلة، محمد خليل : *بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين* , ص 104.

المراجع :

الكتب :

- إبراهيم ، إياد عبد المجيد : البناء الفني في شعر الهذليين دراسة تحليلية ، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، 2000 م .
- الرباعي، عبد القادر : الطير في الشعر الجاهلي ، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1998 م .
- الخلايلة ،محمد خليل : بنائية اللغة الشعرية عند الهذليين ، اربد ، الأردن ، 1425هـ، 2004 م .
- السكري ، أبو سعيد : شرح أشعار الهذليين ، تج: عبد الستار أحمد الفراج ، مراجعة : محمود محمد شاكر ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، 1425 هـ ، 2004 م .
- أبو موسى ، محمد محمد: الشعر الجاهلي، دارسة في منازع الشعراء، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1429هـ / 2008م .
- النتشه , إسماعيل داؤد محمد : أشعار هذيل وأثرها في محيط الأدب العربي, ط1 دار البشير عمان الأردن, 1422 هـ, 2001م.

الدوريات :

- السويدي, سلامة عبد الله *: من ملامح البيئة في شعر هذيل, النحل واشتيار العسل*, جامعة قطر, مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية ع 7, 1995م .
- المنصوري ، جريدي سليم ، *مشهد النحل في شعر الهذليين* ، مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة ، ع21, 1424هـ, 2003م .